المنهج التجريبي في وضعيتي الممارسة و البحث العيادي

د/سامية عرعار
د/حفصة جرادي
جامعة الأغواط

الملخص :

يتضمن المقال الراهن كيفية تطبيق المنهج التجريبي في البحث في ميدان علم النفس العيادي وكذلك في الممارسة العيادية ،والتدليل وتبيان الحجة على أن مقام التجريب فيهما له نفس المكانة إذ يحتل التجريب مكانة هامة في كل العلوم لاسيما علم النفس العيادي ،وبدونه لا نستطيع أن نصل إلى بناء المعرفة العلمية التي تنبثق من مصادر متعددة والمتمثلة في الملاحظة ،الإشكالية ،بناء الفرضيات والتجريب أي إخضاع الفرضيات إلى منطق التجربة.

Abstract :

In this article, we will treat how to apply the experimental method research in the field of the clinical psychology, also in his practice to show and to argue that the place of the experimentation of the both has the same importance, because the experimentation occupies a very important place in all the sciences especially the clinical psychology. Without this method we can not build the scientific knowledge that emerge from multiple sources and that constitutes in the observation, the hypothesis the experimentation or to hold the hypothesis to the experimentation.

مقدمة :

كانت العلوم في بداية تطورها لا تهتم إلا بالظواهر الملموسة، أي بكل ما يمكن ملاحظته، فكانت تهمل ماعدا ذلك.

وعندما إكتشف إسحاق نيوتن نظرية الجاذبية ، أكد أن هناك قوى خفية لا يمكن ملاحظتها مباشرة ، ولكن يمكن الاستدلال على وجودها من خلال آثارها ، فالقوة المسؤولة على سقوط الأجسام نحو الأرض هي قوة غير مرئية و لكن هذا لا يعني عدم وجودها .

الإستدلال الذي قام به نيوتن في مجال الفيزياء هو نفس الإستدلال الذي قام به عدد كبير من علماء النفس مع إختلاف طبيعة الظواهر وشروطها .

و أولهم فيبر الذي –خطى بتجاربه في معمل الفيسيولوجيا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر– الخطوات الأولى من أجل إقامة فرع الدراسات النفسية الذي عرف فيما بعد بإسم السيكوفيزيقا وهو أول فروع علم النفس من حيث النشأة .[1]

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تواصلت الدراسة فيما هو أشد تعقيد ، حيث كان إيبنجهاوس (H.Ebbinghaus).يدرس الذاكرة ، ويجري تجاربه الشهيرة لإستخلاص قوانين التذكر و النسيان ، وبعد عدد كبير من التجارب التي أجراها توصل إلى إستخلاص المنحى الأساسي للنسيان .[2]

وعلى نفس المسار واصل علماء النفس في تاريخ ممارستهم لتخصصهم وتقدموا في دراسة موضوعات بالغة التعقيد، فتمكنوا من دراسة الذكاء، الشخصية، التعلم، و التفاعل بين الأشخاص في المواقف الإجتماعية ...إلخ ، وعلى غرار هؤلاء العلماء أدرك فرويد أن هناك قوى لا يمكن ملاحظتها ولكن يمكن الإستدلال عليها من خلال تأثيرها على السلوك و أدرك أن كل الظواهر النفسية مرتبطة ببعضها البعض وبأنها ليست إلا نتيجة لإشتباك حتميات كثيرة ، وبهذا تمكن فرويد من إخراج علم النفس من مجاله الضيق الذي كان منصبا فقط على الشعور الى ميدان أوسع لدراسة السلوك البشري من خلال اللاشعور.

رغم الإستدلالات العيادية الكثيرة التي قام بها علماء النفس ورغم الثورة النيوتونية التي تعممت على كل العلوم .

مايزال إلى حد الآن من يعيب على علم النفس بأنه ليس علما صحيحا ولا دقيقا، لأن استعمال المنهج التجريبي فيه يبقى أمرا صعبا مهما حاول العلماء إدخال التقدير الكمي

لضبط نتائجه. و هل من الضروري أن نتحصل على نتائج كمية ونقوم بتجارب في المخبر لنحكم بأننا قد استخدمنا المنهج التجريبي ؟

وهل من المنطقي أن يكون المنهج التجريبي هو نفسه في مجال علم النفس رغم إختلاف موضوع هذا الاخير عن موضوع العلوم الطبيعية ؟

كيف نستطيع أن نطبقه في و ضعيتي الممارسة و البحث العيادي ؟

هذه إشكالية المقال الراهن محاولين توضيحها و الإجابة عنها ، من خلال عرض ماهية المنهج التجريبي في العلوم الإجتماعية و العلوم الطبيعية ، التاريخ و النشأة و التطرق لمختلف قواعد المنهج التجريبي وكيفية تطبيقه في البحث العلمي وتحديدا في الممارسة و البحث العيادي .

أولا : ماهية المنهج :

تكلم قراويتز (GRAWITZ) سنة 1986 عن تعدد المعاني الذي يحملها مصطلح منهج و يظهر معناه عند إلحاق صفة بعده تحدده . فعندما نقول منهج كمي ، منهج تجريبي ، منهج تاريخي منهج تحقيق ميداني ، الصفات السابقة المضافة لكلمة منهج هي التي تمنحه معنا وحدودا ، هل هو ينتمي إلى مناهج كمية ، تجريبية ، تاريخية ، تحقيق ميداني ؟

فكلمة منهج يمكن أن ينبثق منها عدة معاني [3].

1- **المعنى الأول:**

ينبع المنهج من موقف فلسفي حول تصورنا للعالم الذي يحيط بنا ، فمثلا إذا كنا نعتقد أن مصدر المعرفة هو الأشياء المحسوسة ، فاننا من أتباع المنهج الإستقرائي (inductive)

2- المعنى الثاني:

من الممكن رد كلمة منهج إلى طريقة تصور وتنظيم البحث، أي كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، إنه يتدخل في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك.

فمثلا يهدف المنهج العيادي بالمعنى الضيق إلى العلاج دون أن يتطلب ذلك إستعمال وسيلة خاصة حيث يهتم هذا المنهج أكثر بالنتائج دون أن يصف طريقة المعالجة بدقة ، و في المقابل يفرض المنهج التجريبي طريقة تصرف ما على مستوى الملاحظة و أسلوب معالجة المعطيات الناتجة عنها .

3- المعنى الثالث :

يمكن إرجاع كلمة منهج الى ميدان خاص يتضمن مجموعة من الإجراءات الخاصة بمجال دراسة معين .

فمثلا يملك منهج التحليل النفساني إجراء للتقصي خاصا به، وعلى غرار المناهج الأخرى يتطلب المنهج التاريخي طريقة و أسلوب معين في تقييم الوثائق المستخدمة [4].

ثانيا المنهج التجريبي : الاصل والنشاة

تعتبر العلوم الطبيعية أصل المنهج التجريبي ، ولم يستخدم هذا المنهج لمدة طويلة الا لأهداف مادية لان الإعتقاد الذي كان سائدا هو ان هذا المنهج غير صالح للإهتمام بالإنسان ولكن بفضل الطب و العلوم المرتبطة به بدأ المنهج التجريبي يمتد تدريجيا إلى دراسة الإنسان بصفة خاصة ، ويعتبر الفسيولوجي كلود برنار (Claude BERNARD) .

أول من قام بصياغة القواعد الأساسية للمنهج التجريبي في كتابه مقدمة لدراسة الطب التجريبي ، **(المرجع السابق، ص . 104).**

ثالثا : المنهج التجريبي وقواعده :

يقول كلود برنار رائد المنهج التجريبي " التجريب هو إخضاع الأفكار إلى إختبار الأحداث" ويتمثل هنا المنهج التجريبي في المواقف التي يقفها الباحث إتجاه الحادثة الطبيعية التي يريد دراستها ، فهو يلاحظ أولا ثم يفترض تفسيرا مؤقتا و أخيرا يعمد إلى التجريب ليتحقق من صحة فرضيته .

ويضيف كلودبرنار أن الحدس أو الإحساس هو الذي يولد الفكرة التجريبية ، و المحاولة التجريبية تتأسس على الفكرة أما الإستدلال التجريبي فلا يفيدنا إلا في إستخلاص نتائج هذه الفكرة ، وبهذا تكون الفكرة أو الفرضية هي نقطة الإنطلاق الضرورية لكل إستدلال تجريبي .

وعندما يلاحظ الإنسان ظاهرة ما فإن هذه الأخيرة توقض فيه دائما فكرة السببية ، لأن فكر الإنسان غير مجبول على إدراك النتائج بدون أسبابها ، كما يبين كلودبرنار أن المعرفة الإنسانية أقيمت على أساس إظهار النتائج التي تم ملاحظتها وربطها بأسبابها ، كما يؤكد أن الحتمية هي مبدأ مطلق في العلم .

غير أن الملاحظة المقصودة هنا هي الملاحظة العلمية الخصبة لاتلك الملاحظة العفوية التي تتمثل في الإنتباه إلى المعطيات الحسية و في تفسيرها ، إذ قد يكون هذا التفسير مقبولا ولكنه خاطئا لأنه مندرج ضمن مفهوم عام للحوادث الطبيعية غير متعارض مع المعتقدات السائدة ، فالملاحظة الحقة هي التي تنتبه إلى التعارض القائم بين الحادثة العارضة

و الإعتقادات السابقة .

ويقول كلودبرنار أن الإنسان لا يستطيع ملاحظة الأشياء التي تحيط به إلا في حدود ضيقة جدا ، فالقسم الأكبر منها يفلت من حواسه بصفة طبيعية .

ولتوسيع معارفه كان عليه أن يقوي أعضائه بواسطة آلات خاصة و أدوات مختلفة يتسلح بها تمكنه من أن يتوغل داخل الأجسام لتحليلها و لدراسة أجزائها الخفية .[5]

لكن الباحث لا يكتفي بجمع الملاحظات وترتيبها وتصنيفها و إلا كان عمله عقيما ، بل إنه يعمد إلى تفسير الظواهر ويقدم فكرة يفترضها تفسيرا لما يدرس من الظواهر ، إذ هي التي تقود خطاه في التجريب ، ويجب أن تتمتع الفرضية بإمكانية التحقق من صحتها أو خطإها ، ولكي تكون صحيحة أيضا ينبغي أن تصاغ وفق إطار نظري محدد ، وفي حالة عدم وجود النظرية يجب بناء مفاهيم ، و الفرضية تلعب دورا هاما في التجريب فإذا تعلق الأمر بظاهرة يمكن التحكم فيها كما يحدث في الفزياء والكيمياء فإن الباحث يلجأ إلى التجريب ، أي أنه بدل أن يكتفي بملاحظة الظواهر كما تحدث في الطبيعة نراه يحدثها في شروط معينة حتى يتمكن من ملاحظتها في شروط أفضل ، فالتجريب يفيد الباحث أكثر مما تفيده الملاحظة ، لأنه يمكنه من تكرار الظاهرة المدروسة ومن تغيير شروطها ومن تخفيف سرعتها ومن تحليلها و تبسيطها .

ذلك أن الظواهر الطبيعية هي ظواهر معقدة متشابكة تتحكم فيها عدة قوانين في آن واحد ، مما يؤدي بالباحث أحيانا إلى إهمال بعض العوامل التي تتدخل في الظاهرة.

ويرى كلودبرنار أن عناصر المنهج التجريبي متداخلة فيما بينها فالفرضية العلمية هي الفكرة العلمية المدركة مسبقا ، والأحداث هي الأدوات الضرورية للقيام بالتجربة أما النظرية فهي الفكرة العلمية التي تم التأكد منها بواسطة التجربة ، وطبعا ينبغي على الباحث أن يكون مدعوما بحصيلة علمية سابقة ، لأنه لا يستطيع أن يعيد جمع الأعمال

التي قام من سبقه في ميدان بحثه و لذلك يتعين عليه أن يستعلم عن مقام المسألة التي يبحث فيها .

تأثر الإستدلال التجريبي بفكر المجرب :

يقول كلود برنار " عندما نقرر القيام بتجربة علينا أن نمحي رأينا وكذلك آراء الآخرين " هذا القول يذكرنا بما قاله غاستون باشلار في صدد حديثه عن التفكير العلمي في كتابه تكوين الروح العلمية la formation de Lésprit scientifique" الرأي لا يحسن التفكير ، بل إنه لا يفكر ، يجب تدميره قبل كل شيئ" كما يضيف كلودبرنار في نفس الشأن " الناس الذين يؤمنون إيمانا قويا بنظرياتهم أو بأفكارهم هم ليسوا فقط غير مؤهلين للقيام بإكتشافات ولكنهم أيضا يقومون بملاحظات جد سيئة ، فهم بالضرورة يلاحظون بأفكار مسبقة وعندما يختبرون أفكارهم لايرون إلا ما يثبت نظريتهم ".**أنظر**[6],

ونظرا لهذه الإمكانية الكبيرة للوقوع في الخطأ يدخل كلودبرنار مبدأ أساسيا في المنهج التجريبي وهو الشك وهو لايعتبره مبدأ أساسيا فقط ، بل يعتبره قاعدة يقف عليها المنهج التجريبي .

وفي الإستدلال التجريبي كله ، هناك حالتين ممكنتين ، فإما أن تؤكد فرضية المجرب أو تكذب وتفند عن طريق التجربة .

عندما تنفي التجربة الفكرة التي قدمها المجرب، فعلى هذا الأخير أن يستغني عن فكرته أو يغيرها، ولكن حتى إذا تم إثبات صحة الفرضية، فعلى المجرب أن يشك في ذلك ويبحث عن نقيض البرهان.

لاحظنا من خلال ماتقدم أن المنهج التجريبي في مجال العلوم غير الإنسانية ،هو منهج صارم يفرض على الباحث أن يحول ملاحظاته العفوية وحدسه الطبيعي إلى مادة علمية .

ويفرض عليه أن يتجرد من أفكاره المسبقة ومعرفته العامة ، ولاشك أن هذا الأمر ليس سهلا لأن الإنسان كما يقول غاستون باشلار يملك ميلا طبيعيا لعدم إحترام المنهج العلمي.

رابعا: المنهج التجريبي في البحث العلمي والبحث العيادي:

يمثل البحث العلمي مرتكز محوري للوصول الى الحقائق العلمية ووضعها في اطار قواعد أو قوانين أو نظريات علمية كجوهر للعلوم ،خاصة وأن العلم هو مدركات يقينية

مؤكدة ومبرهن عليها كتصديق مطلق ويتم التوصل الى الحقائق عن طريق البحث وفق مناهج علمية هادفة ودقيقة ومنظمة واستخدام أدوات ووسائل بحثية "[7].

وقد تناول الكثير من الكتاب ظاهرة البحث العلمي بالشرح والتحليل المستفيض وذلك من خلال منطلقات فكرية عبرت وتعبر عن خلفيات وخبرات متباينة.

-تحديد مفهوم البحث العلمي :

هناك عدة تعريفات للبحث العلمي نحاول تحديد مفهومه ومعناه ومن جملتها: "وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير او تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج التجريبي".

" البحث العلمي هو البحث النظامي والمضبوط الخبري التجريبي في المقولات الافتراضية عن العلاقات المتطورة بين الحوادث الطبيعية" **" [8]**

إن البحث العلمي هو التحري والاستقصاء المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقتها ببعضها البعض وذلك من أجل تطويره للواقع الممارس لها فعلا أو تعديله .

ويتضح من هذه التعريفات أن البحث حتى يكون علميا لا بد أن تكون الطريقة المتبعة فيه علمية وموضوعية ومن أول خطوة فيه (التعريف والتحديد لما يجب بحثه) إلى آخر خطوة فيه (اكتشاف الحقائق والعلاقات بين الأبعاد أو أجزاء الموضوع والتحقق من صحة ما تم التوصل اليه) .[9]

- خطوات البحث العلمي :

ان البحث العلمي يتمثل في مجموعة من الخطوات حتى يسير البحث بشكل متصل مترابط بمعنى أنه لا يوجد فواصل بين كل خطوة والتي تليها ، بل لا بد أن يظهر الترابط بين خطوات البحث بحيث تتصل فيه المقدمات بالنتائج وتدل النتائج على المقدمات ولكن ليس معنى هذا أن كل باحث يستخدم هذه الخطوات تبعا لطبيعة بحثه .

ويمكن عرض خطوات البحث كما يلي :

1- اختيار الموضوع.

2- تحديد مشكلة البحث.

3- جمع البيانات والمعلومات المتصلة بمشكلة البحث.

4- فرض الفروض المناسبة.

5- اختبار صحة الفروض ومحاولة التحقق منها.

6- تحليل البيانات وتفسيرها.

7- الوصول الى النتائج.[10]

إذا كيف تكون خطوات البحث العلمي والمنهج التجريبي في مجال علم النفس العيادي ؟

وما هدف وموضوع البحث فيه؟

الهدف و الموضوع في علم النفس العيادي:

يهدف البحث العيادي إلى إنتاج معارف جديدة عبر الدراسة المعمقة للإنسان مؤخوذا في فرديته ، وكما ترى أوديل بورقينييو odile Bourguigno " فإن البحث يسمح لنا بقياس عمق الحياة النفسية وحتى الطابع اللامتناهي لعمقها .[11]

هذا و يهتم البحث العيادي في علم النفس المرضي بمجموع السير الإنسانية وبمختلف تعابير الاتصال. وفكرة القيام ببحث في هذا الميدان تظهر من خلال الإتصال بخصوصية حالة عياديه معينة ، و عندما تظهر إشكالية عيادية جديدة ، و لما نكون أمام ديناميكية منظمة لسلوكات مميزة[12].

أما عن مصدر التساؤلات فهي تأتي من هوامات الباحث ، وفيما تحتوي عليه النظرية من معطيات ، وقد تأتي من ملاحظات عملية في الوسط الطبيعي أو في المؤسسات العلاجية ، فيطرح هناك مشكل ، وفي كل الحالات فإن الهدف من البحث هو تحويل الحدس الخاص للباحث إلى معطيات عامة من خلال قيامه بإجراءات وتأسيس وشرح الإثباتات التي تحصل عليها.

أما مواضيع البحث فهي معقدة ، تنمو وتتطور ، يتم ملاحظتها في سلالم مختلفة ، في أشكال فردية لمظاهرها وفي وضعيات ملموسة آخذين في ذلك بعين الإعتبار عناصر تابعة لمجالات مختلفة تستمد من نظرية ولكن إنطلاقا من معطيات إمبريقية ، ويهدف البحث العيادي إلى إخراج سيرورات عامة وبناء نماذج ليكون هناك توضيحا بين الأحداث المختلفة وهي مصدرا أيضا لفرضيات [13].

وفي البحث العيادي يعتبر الفرد هو سيد الملاحظة ، وهو مصدر المعرفة العلمية العيادية وهو من نفس طبيعة المبحوث، وكلما كانت الملاحظة فردية كلما كانت للباحث مشاكل ونقائص في نوعية ونتائج الملاحظة ، لذلك ينبغي على الباحث أن يعوض هذا النقص و

يستعمل ويتسلح بأدوات في البحث لأن مشاكل التحويل و التحويل المضاد لا يمكن للباحث تجنبها أو يبقيها جانبا ، ومن هنا تظهر أهمية علاقة العيادي بموضوع البحث أي بالأفراد المدروسين[14].

و أغلب المعطيات العيادية التي يتم جمعها تكون موضوعة في نظرية مسبقة ، أي مقدمة في نظرية كاحداث يمكن ملاحظتها وعندما لا تكون النظرية متوفرة يجب بناء مفاهيم ، وتعريفها وجعلها تتموضع واحدة بالنسبة للأخرى لأنه لا توجد ملاحظة بدون إطار من المفاهيم . ولاشك أيضا أن شخصية الباحث تؤثر على مفاهيمه العلمية ولكن أيضا بنمط ملاحظته وعمله ، عليه بذلك أن يضع معرفته في الشك ويواجهها بالحقيقة الإمبريقية وعليه أن يستعين بتقنيات مقننة تساعده على تخطي صعوبات الملاحظة .

الملاحظة في الممارسة و البحث العيادي :

الملاحظة تقنية مشتركة بين كل العلوم ، يقول كلود برنار "لن تكون الفرضيات صحيحة الا إذا أقيمت على أساس ملاحظات صحيحة و دقيقة "انظر.[15].

و كل باحث أو متخصص يلاحظ حسب الإطار العلمي الذي ينتمي اليه و في مجال الممارسة العيادية فإن كل خطوة يقوم بها العيادي فيها ملاحظات و هو بإختصار لا يكف عن ملاحظة مفحوصه و عندما نتحدث عن الملاحظة فلا نقصد بها تلك الملاحظة العفوية أو الساذجة و لكن تلك الملاحظة العلمية النابعة من إطار نظري محدد و التي تهدف الى حصولنا على المزيد من المعرفة حول المفحوص .

و في مجال البحث لا يلاحظ الباحث إلا ماله علاقة بمتغيرات بحثه و هو لذلك يحدد مسبقا السلوك أو السير التي يريد ملاحظتها و كلما كانت الملاحظة مرتبطة بإشكالية البحث كلما تحرر الباحث من الصعوبات المحتمل مواجهتها وتحكم في إشكالية بحثه.

الإشكالية:

كل بحث يبدأ بسؤال يسعى الباحث عبر خطوات عملية محددة للإجابة عليه ، وهذه الخطوات تتم طبعا وفق إطار نظري يكون موجود من قبل أو يبنيه الباحث بكل وضوح لأن الحقيقة الأمبريقية إذا كانت موجودة فإن الإطار النظري التي تنتمي اليه هو الذي يبين المعطيات المنبثقة من هذه الحقيقة الإمبريقية التي سيقام عليها البحث .

الإشكالية بهذا هي الأفق النظري الذي يقرر الباحث أن يتبناه لمعالجة المشكل المطروح بسؤال ،و إن لم يكن هذا الإطار موجود يجب بناء مفاهيم محددة تهدف الى معرفة الحقيقة آخذين بعين الاعتبار فقط الجوانب الأساسية في البحث .

و هذه المفاهيم تبنى في نفس الوقت بصورة إمبريقية من خلال الملاحظة المباشرة لمواضيع حقيقية و عن طريق الإستدلال العلمي الذي يجعل هذه المواضيع تتمحور في إطار نظري .

وبناء هذه المفاهيم يهدف إلى قطع الصلة بالتصورات التي تنتمي الى التفكير العام الذي يعتبر مصدرا للمعرفة الساذجة و للخطأ وفي نفس الوقت ربط الصلة بالتصورات التي تنتمي إلى التفكير العلمي والمعرفة العلمية التي تعتبر مصدرا للعلم بصفة عامة.

و قيمة المفهوم تكمن في قدرته على اكتشاف الحقائق و ما يوفره من فهم و مشاركته في بناء المعرفة العلمية و للمفاهيم دور تعريف أصناف و أنواع الظواهر التي سوف ندرسها و لكنها لا تخبرنا عن طريقة وكيفية دراستها، إنها الفرضيات التي تقوم بهذه الوظيفة.

الفرضيات:

و الفرضية عبارة عن توضيح و اقتراح أجوبة للاسئلة المطروحة في البحث وهي تربط بين التفكير النظري و المعطيات الأمبريقية و بهذا تعتبر الفرضية هي محرك البحث العلمي الذي يتخذه الباحث للتوضيح و التبيان و يجب أن تكون الفرضية محددة و متمتعة بقابلية التحقق من مدى صحتها أو خطأها .

المقابلة في الممارسة و البحث العيادي:

لا شك أن العيادي الممارس و العيادي الباحث لا يقومان بنفس النشاط و لا يسعيان إلى نفس الهدف ويقول ألان بلونشي Alain Blanchet "إذ تنشط الممارسة العيادية حول التشخيص و العلاج و هو نشاط يتم في إطار علائقي يجمع المعالج بمريضه في نموذج قاعدي هو المقابلة أما التحقيق فيعرف كنشاط بحث قصد إنتاج المعلومات ")

و هذا الإختلاف الذي يميز نشاط و هدف كل من الممارسة العيادية و البحث هو الذي يفرض بعض الخصائص على مقابلة البحث العيادية ،حيث أن مقابلة البحث هي أداة تحقيق يقول بشأنها Alain blanchet "هناك شخص (أ) يسهل إنتاج خطاب الشخص (ب) للحصول على معلومات موجودة في التاريخ الشخصي لـــ(ب)

و يضيف هذا الباحث أن المقابلة العيادية كحوار لا تتمثل أهدافها فقط في إستخلاص المعلومة و لكنها تتمثل أيضا في خلق إطار مهني ضروري يتمكن المريض من خلاله من بناء المعلومة التي سوف يقدمها " .[16]

و بهذا فإن الباحث لن يذهب مثلا الى بيت المفحوص ليتقابل معه و كذلك لن يوقف أشخاصا في الشارع ليفعل نفس الشيئ و طبعا قبل الإطار الزماني و المكاني هناك الإطار النظري الذي ينطلق منه الباحث ليكون لبحثه معنى ،أما الطلب في مقابلة البحث فمصدره دائما الباحث و يجب أن يعلم المفحوص بأنه بصدد القيام ببحث و بأنه في حاجة إلى مساهمته من أجل تحقيق غاية علمية .

في هذا المجال فإن المقابلة المركزة و غير الموجهة تسمح بجمع المعلومات حول الموضوع المدروس بدون تدخلات كثيرة من طرف الباحث و إذا كانت التعليمة واضحة و شاملة فبإمكانها إن تغني الباحث عن كثير منها .

و مقابلة البحث قد تكون فرصة للمفحوص للتعبير عن معاناته بإعطاء قيمة للوضعية المعاشة ، غير أن الإصغاء لا يجب أن يرتكز الا على بعض المعلومات التي تحمل توضيحا جديدا يعمقه الباحث عن طريق بعض التدخلات للحصول على المزيد من الشرح و الهدف من ذلك هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات لأن مقابلة البحث لا تتكرر في أغلب الأحيان.

خامسا: المنهج التجريبي في الممارسة العيادية :

يبدو لنا من الوهلة الأولى أن التناول التجريبي يتعارض مع التناول العيادي ، بإعتبار أن المنهج التجريبي يقوم على خلق وضعيات مصطنعة تتم فيها مراقبة للعوامل بتغير عامل واحد فقط ودراسة التغيرات الملحقة على الموضوع المدروس ، وباعتبار أن موضوع التناول العيادي هو الإنسان في كليته وفرديته ، ومن المؤكد أننا لا نستطيع مثلا إدخال بعض الآليات الدفاعية في الجهاز النفسي لشخص وننوعها في كل مرة قصد معرفة أية آلية دفاعية أكثر فعالية مثلا ؟.

كما لانستطيع أيضا أن نبسط الحياة النفسية للإنسان كما قال دنيال لاغاش Lagache. Dإلى درجة دراسة مثيراته و إستجاباته فقط لأن الحياة النفسية للإنسان أعقد بكثير من ذلك .

ولكننا نستطيع أن نقارن حالة بحالة أخرى ونستطيع أن نقارن مجموعة أفراد بمجموعة أخرى من الأفراد.

ويستطيع الباحث كما تقول أ.ورقينيو O.Bourguigon " أن يجيب عن تساؤلاته بمواجهة مفاهيمه بآراء وسلوكات أفراد الوضعية المدروسة أو إخراج البنيات الكامنة أو المخبأة وراء كلام أفراد أو وضعيات تحول ماهو ملغز إلى ماهو واضح".

ويقول بايدولسكي Bydlowski" يمكن إعتبار المحاولات العلاجية كشكل من التجريب" وعندما نريد دراسة تأثير بعض العوامل على الأفراد ، ندخل هذه العوامل على مجموعة واحدة فقط و بالتالي نتحصل على مجموعتين واحدة تجريبية و أخرى ضابطة ، ومن أجل الوصول إلى نتائج دقيقة وصحيحة ينبغي تحضير الوضعية التجريبية وتحديد شروطها التي من الضروري ألا تكون هي نفسها بالنسبة لجميع الأفراد منذ بداية التجربة إلى نهايتها ، فإذا تعلق الأمر بتطبيق اختبار نفسي على الأفراد فلابد أن تلقى التعليمة بنفس الطريقة وبنفس الكلمات على الجميع ، كذلك يجب أن نعرف ونحدد المتغير الثابت و المستقل ونتحكم في العوامل المشوشة كمكان وزمان إجراء التجربة ، وكذا موقف الباحث سنه ، جنسه .[17]

وهذا التحكم في العوامل هو الذي يسمح لنا في الأخير بإدراك رابطة السبب بالنتيجة وحتى نتمكن من تعميم النتائج من الضروري توفر الصدق الداخلي و الخارجي ، أي يجب أن تتمتع النتائج بالقيمة العلمية و بإمكانية الحصول على نفس النتائج في حالة تكرارها على مجموعة أخرى.

خاتمة:

وبناء على ما سبق يمكن ان نستخلص ان التجريب له مكانة هامة في ميدان علم النفس العيادي ومقامه نفس مقام التجريب في كل العلوم الاخرى وبدونه لا نستطيع ان نتوصل إلى بناء المعرفة العلمية التي حتما تمر بخطوات المنهج التجريبي المتمثلة في الملاحظة ،بناء الفرضيات واختبارها وهذا سواء في الممارسة العيادية أو في البحث العلمي.

الهوامش:

[1] سويف مصطفى ،(2002) ،**علم النفس فلسفته و حاضره و مستقبله ككيان إجتماعي**، ص،231.

[2] رزق سند ابراهيم ليله، (2002) ،**مناهج البحث في علم النفس**، جامعة عين شمس، ص11.

[3] Grawitz , madeleine (1986) , **Méthodes des sciences sociales** , 7éd m, paris , Dalloz p96.

[4] أنجرس موريس،(2004)، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، تر: بوزيد صحراوي ، كمال بوشرف سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر،ص104.

[5] Bernard claude,(1963), **introduction à l'étude de médecine expérimentale**, paris ,les chefs d'œuvre classiques et modernes .

[6] Bachlard gaston,(1967) ,**La formation de l'esprit scientifique** ,2ed paris librairie philosophique j.vin.

[7] ماثيو جيدير،(بدون سنة نشر)،ترجمة مليكة الأبيض،**منهجية البحث العلمي** ، بدون دار نشر،ص14.

[8] أحمد بدر،(1973)،**أصول البحث العلمي ومناهجه**، الكويت، وكالة المطبوعات، ص8.

[9] محمد عبيدات و آخرون،(1999)،كلية العلوم الاقتصادية والعلوم الادارية، الجامعة الأردنية ،ص4.

[10] فاطمة عوض صابر،ميرفت علي خفاجة،(2002)،**أسس البحث العلمي**،مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية،الاسكندرية،ص29-30.

[11] Bourguigon odile,(2001),**la recherche clinique,** paris , dunod,p2.

[12] ibid , p4.

[13] Bourguigon odile,(2001),**la recherche clinique**, paris , dunod,p41.

[14] ibid, p37.

[15] Bernard claude,(1963), **introduction à l'étude de médecine expérimentale,** paris ,les chefs –d'œuvre classiques et modernes.

[16] Blanchet Alain, (1987) ,**les techniques d'enquete en sciences sociales** , observer , interviewer, quetionner,paris,les chefs d'œuvre classiques et modernes, p56.

[17] Bydlowski M,(2001),**Le chercheur :vocation, engagement, formation**, Ed paris , Dalloz, p61.